مجلّة العربية المجلد 08 العدد01
(EISSN :2602-5434) -(ISSN:2437 -0231) (ص: 08-25)

دور الترجمة في بلوغ اللغة العربية عصرها الذهبي

The role of translation in the Arabic language reaching its golden age

د. سليمة برطولي
أستاذة محاضرة (أ)
المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة
salibertouli@gmail.com
الجزائر

تاريخ الإرسال:19 /2021/05 تاريخ القَبول: 2021/06/16 تاريخ النّشر:2021/06/15

ملخّص: للترجمة دور هام في نقل العلم والمعرفة ، فهي نافذة لكل من يرغب في الاطلاع على ما توصل إليه الآخر في شتى المجالات . وقد أدرك العرب منذ القديم هذه الأهمية ، فبذلوا – في مجال الترجمة – جهودا عظيمة خدمت الدولة الإسلامية ، وجعلت اللغة العربية تبلغ عصرا ذهبيا سجله لها التاريخ عن استحقاق وجدارة .

فكيف ساهمت الترجمة في بلوغ اللغة العربية عصرها الذهبي ؟

وهل عجزت اللغة العربية في حقبة من الحقب الزمنية عن مسايرة الحياة العلمية وعن ترجمة جديدها ؟

الكلمات المفتاحية: الترجمة ، اللغة العربية ، العصر الذهبي .

Abstract

. Translation has an important role in transmitting science and knowledge, as it is a window for everyone who wants to see what the other has reached in various fields. The Arabs realized this importance since ancient times, so they made great efforts in the field of translation - that served the Islamic state, and made the Arabic language reach a golden age that history has merely recorded for it.

How did translation contribute to the Arabic language reaching its golden age?

Has the Arabic language failed in a period of time to keep pace with scientific life and to translate its new developments?

Keywords: Translation ; Arabic language ; golden age

1_ مقدّمة :

لابد لكل أمة تريد النهوض أن تعرف أسباب وعوامل نهوض الأمم الأخرى – من علم وأدب وفن – لتلحق بها ، وعلى كل أمة أن تشارك بنصيب هام في تقدم الحضارة العالمية والعلوم الإنسانية ، وينبغي لها من أجل ذلك أن تعرف ما وصلت إليه غيرها من الأمم حتى تبني على ما بنت ، وتزيد على ما وصلت إليه جديدا من العلوم والفنون ، والسبيل إلى ذلك معرفة اللغات والترجمة .

فقد بدا جليا من استقراء تاريخ الحضارات أن الترجمة ضرورة من ضرورات حياة الأمة لتحقق التواصل الفكري الدائم بينها وبين العالم الخارجي من حولها ، وهي بالنسبة لنا نحن أبناء العربية تمثل مفتاحا أساسيا من مفاتيح ملاحقة ركب التقدم العلمي والترقي التقني في العالم الخارجي ، وذلك بفضل ما تؤديه من انفتاح على المخترعات العالمية والمكتشفات العلمية ، وإطلاعنا على ما وصل إليه العالم المتقدم من مراحل في طريق الرقي ، وهذه عملية جوهرية في مراحل النهضة والتقدم للأمة ، أية أمة كانت (1) ، وهي بالنسبة للغتنا العربية أحد أهم ينابيع الحياة والثراء التي تدفع بها إلى مصاف لغات العلم والحضارة . لكن رغم ما بذله علماء العربية في مجال الترجمة -سواء في القديم أ م الحديث - فإن الحياة العلمية العربية مازالت عطشى و تحتاج لإرواء جوانب عديدة منها ، كما أن اللغة العربية هي الأخرى مازالت توصم بالقصور عن تلبية حاجات الحضارة المعاصرة من المصطلحات المعبرة عن الجديد العلمي و التقني و المعرفي بصفة عامة.

_ فما هي أهم الجهود العربية- في مجال الترجمة- التي تركت بصمة بارزة في النهضة اللغوية العربية ؟

_ وكيف ساهمت هذه الجهود العربية - في مجال الترجمة -في بلوغ اللغة العربية عصرها الذهبي ؟

_ أهمية الدراسة : وتتجلى أهمية هذه الدراسة في تسليط الضوء على جهود العرب في مجال الترجمة لإبراز مدى إسهام هذه الجهود في بلوغ اللغة العربية عصرها الذهبي ، وإظهار قيمة الترجمة العربية في خدمة المعرفة الإنسانية والحضارة العالمية بما نقلته من ذخائر العلم والمعرفة من حضارات الأمم الغابرة إلى الحضارة المعاصرة .

_ الهدف من الدراسة : هو التأكيد على صلاحية اللغة العربية للتعبير عن أية حضارة وفي أي زمان أو مكان ، والحث على ضرورة بذل المزيد من الجهد في مجال الترجمة خدمة لهذه اللغة حتى تستعيد عصرها الذهبي الضائع .

2__ تحديد المفاهيم :

2_1 _ الترجمة لغة واصطلاحا:

الترجمة لغةً :كلمة " ترجمة " بالعربية مشتقة من فعل " ترجم " وجاء في لسان العرب " ترجم كلامه " بمعنى فسره بلسان آخر (2) ، وورد في مختار الصحاح " ترجم كلامه إذا فسره بلسان آخر ومنه الترجمان وجمعه تراجم (3) ، وأما في معجم المنجد في اللغة العربية المعاصرة، فهي تحيل على نقل الكلام من لغة إلى أخرى، وعلى التأويل والتفسير والشرح (4)

الترجمة اصطلاحاً :يتحدث الزرقاني عن الترجمة بقوله "هي نقل الكلام بأنواعه المختلفة من لغة إلى أخرى وذلك بالتعبير عن معنى كلام في لغة بكلام آخر في لغة أخرى مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده ، كأنك نقلت الكلام نفسه من لغته الأولى إلى اللغة الثانية " (5)

2_2__ معنى اللغة العربية :

2-2-1- اللغة : لغة واصطلاحا : يذكر اللغويون ومنهم ابن جني و أرباب المعاجم أنها مشتقة من الفعل لغا يلغوا إذا تكلم ، أو لغي يلغي إذا لهج ، يقول ابن جني : أما تصريفها ومعرفة حروفها فإنها فعلة من لغوت أي تكلمت وأصلها لغوة ككرة وقلة وثبة كلها لا ماتها واوات ، لقولهم كروت بالكرة و قلوت بالقلة ، ولأن ثبة كأنها من مقلوب ثاب يثوب ،وقالوا فيها لغا ت ولغون ككرات و كرون ، وقيل منها لغي يلغى إذا هذ ى ومصدره اللغا ، قال : ورب أسراب حجيج كُظم عن اللغا ورفث التكلم. وكذلك اللغو ، قال الله سبحانه وتعالى:" وإذا مروا باللغو مروا كراما" (سورة الفرقان : 72) ، أي بالباطل ، وفي الحديث : " من قال في الجمعة صه فقد لغا ، أي : تكلم " (6)

ولقد اهتم بعض علماء العرب بتعريف اللغة وتوضيح ماهيتها ، فقاموا بوضع تعريفات، و الحق أن نظرة متفحصة في هذه التعريفات تؤكد لنا باليقين العلمي أن هذه التعريفات – على قدمها – تقف على قدم المساواة – وإن لم تسبق في بعض النقاط – مع أحدث التعريفات اللغوية لمفهوم اللغة (7) ، فقد حدها ابن جني بأنها : أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم (8) ، ووافقه في ذلك سائر القدماء من علماء اللغة العرب(9)

ويعرف ابن خلدون اللغة بقوله "اعلم أن اللغة في المتعارف عليه، هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ، فلابد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتها (10)

2-2-2-الفصاحة لغة واصطلاحا : عرفها ابن سنان الخفاجي في قوله: "الفصاحة الظهور والبيان ومنها أفصح اللبن إذا انجلت رغوته، وفصح فهو فصيح، قال الشاعر وتحت الرغوة اللبن الفصيح، ويقال أفصح الصبح إذا بدا ضوؤه، وأفصح كل شيء إذا وضح. "(11)

اصطلاحا :"هي التعبير البليغ، فالكلام الفصيح هو الزاخر بالصور البيانية والمحسنات البديعية، والفصاحة بهذا المفهوم هي قوة العبارة ونصاعة البيان، وحسن التعبير. "(12)

2-2-3-واللغة العربية الفصحى : هي اللغة التي نطق بها الشعراء والبلغاء وأصبحت ديوان العرب ومدونتهم الكبيرة، وقد أنزل الله تعالى بها القرآن الكريم - وهو الحجة الكبرى- ، وتحدث بها الرسول- صلى الله عليه وسلم – في أحاديثه المروية بالسند الصحيح، وبعد هذا ، أصبحت المعيار اللغوي لجميع ا لأنماط والنماذج التي نستعملها، وقد دون بها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكلام العرب :شعره ونثره ، وستبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لصدق قوله تعالى في(سورة الحجر: الآية 9):" إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " ،وهي لغة هذا الذكر العظيم .

2_3 _ معنى العصر الذهبي :

معنى " عصر ذهبي " في معجم المعاني الجامع - معجم عربي عربي :

عَصْر ذهبيّ: " حِقْبة من الزمن تميّزت بالازدهار والمنجزات الثَّقافيّة والعمليَّة."

وعصر العرب الذهبي : يراد به :حقبةٌ ميمونةٌ تبلَّج فجرها الزاهر منذ عهد هارون الرشيد وابنه المأمون (١٧٠–٢١٨هـ/٧٨٦–٨٣٣م)، وانبثقت أشعتها من سماء بغداد حتى انبسطت في الأقطار العربية جمعاء: من وادي دجلة والفرات في القارة الآسيوية إلى وادي النيل والمغرب الأقصى في القارة الإفريقية إلى ديار الأندلس وصقلية في القارة الأوروبية، فأصبحت الخلافة العباسية في تلك الحقبة تحاكي دولة الرومان أيام اكتمال عزها واجتماع شملها .(13)

وشهدت اللغة العربية في هذا العصر عصرها الذهبي هي الأخرى ، للنضج الذي اعتراها والثراء الذي اعتلاها ، إذ اتسعت لتعبر عن شتى مناحي العلم والحضارة ، واستقطبت اهتمام غير العرب بالإقبال على تعلمها والتأليف بها ، فكانت لغة ذات شأن ، كما كان شأن أهلها في ذاك العصر الذهبي .

3 _ دور الترجمة في عولمة اللغة : لقد ظهرت العولمة بظهور ثورتي المعلومات و الاتصالات و التي أدت بدورها إلى زيادة التقارب بين الشعوب و الحضارات ، ولذلك أصبح العالم بمثابة قرية إعلامية صغيرة أو ما يمكن تسميته ب " عالم بلا حدود " لأن ا لعولمة تستهدف إلى إزالة الحدود والحواجز الاقتصادية والعلمية والمعرفية بين الدول والشعوب(14)

والترجمة و اللغات ترمي إلى توثيق عرى التعاون بين الشعوب مهما اختلفت الثقافة و الأصل فهناك من الأمور الثقافية ما لا تباح تحقق جدواه إلا بتبادل الآراء ، فالترجمة توفر لنا أسباب التقارب الذي لا مندوحة عنه لكي نؤدي مهمتنا الثقافية و العلمية ، وليس من شك في أن لها من الآثار ما يبعث روح العلم المشترك الذي يولد روح التضامن ويحقق التآلف بين مختلف من يعملون لخدمة العلوم و المعار ف .(15)

لهذا " فإن التصدي لفن الترجمة من غير معرفة اللغة وفهم أساليبها تشبه محاولة فتح باب بلا مفتاح ومما لاشك فيه أن تعلم اللغة العادية يكون بالاستعمال أما لغة العلم فإنما تكون بدراسة الترجمة فالغرض من دراستها إذن هو تحقيق القوة في اللغة ودقة التعبير بها حتى لا تند عنها ما حوت اللغة من أفكار أو ردّت إليها من معان . وهدف الترجمة أيضا هو أن نتعرف على ما في اللغة من مشاعر وعقائد واهتمامات عامة وتمرين النفس على الحديث بها بيسر وسهولة بفنون شتى من التعبير ودراستها تظهرنا على ما لم يبد لنا من قبل في اللغة من إيجاز وقوة وصفا ء، فهي تشعرنا بحيوية اللغة في أنفسنا وأنها أصبحت عندنا متأججة وأكثر نظاما وتهذيبا مما يتيح تنمية الشخصية على الوجه الأكمل" (16)

وهي مصدر الإلهام العميق وغذاء للآداب بما تجريه في جسم الشعوب من الدم الجديد الذي يبعث الحياة و الأمل و النشاط ، وهي فن يتطلب مجهودا يفوق مجرد معرفة اللغتين ، ولو قدر للعالم أن يباعد بينه وبين الترجمة لظل راكدا لا حركة فيه ولا حياة ، فالعواطف وطرق الأداء و الأفكار الإنسانية من الأركان

التي تستند إليها الترجمة و الأفكار وطرق الأداء عرضة للتغيير، ولا يقدّر لها الذيوع و الانتشار بغير الترجمة" (17)

وإذا توقفنا لحظة لنرى تأثر اللغة العربية بالأفكار الوافدة وهو ما يقابل العولمة وأثرها في غيرها من اللغات وهو ما يسمى العور بة – وذلك حتى نهاية القرن السادس الهجري تقريبا – ولئن نظرنا إلى تقلب أحوال العربية بين العولمة و العوربة لنجدن العوربة ترتبط في أساسها بالإسلام و انتشاره خارج حدود شبه الجزيرة العربية ، ولنجدن العولمة ترتبط في أساسها كذلك بالترجمة من تراث ا لأمم الأخرى وما نشأ عن ذ لك من ظهور الفرق و التصوف والفلسفة الإسلامية والعلوم الطبيعية ، غير أن وضع كل هذا النشاط في نصوص ومصطلحات عربية كان مصدر عوربة للغات الأخرى فيما بعد. (18) فالعربية قد حققت علميتها وعالميتها معا ، حققت علميتها عندما استطاعت أن تستقبل العلوم في عصر النهضتين العربيتين الأولى و الثانية وبينهما ألف عام ، وعندما أغنت العلوم وحملت ثمرات العقول العربية المبدعة عدة قرون ، وحققت عالميتها عندما اتصلت باللغات الأخرى الشرقية والغربية فأخذت وأعطت واقترضت وأقرضت فعرفت أبناءها بما لدى غيرهم ، وعرفت الآخرين بما عند أبنائها(19)،

وعلينا اليوم أن نحرص الحرص كله على تطوير هذه اللغة العربية، وتطوير طرق تدريسها، وبذل المزيد في مجال الترجمة والتعريب ، لنحفظ لها مكانتها بين اللغات العالمية المعاصر ة، لأن عصر المعلوماتية والتكنولوجيا الحديثة يفرض البقاء للأقوى والأصلح ، والأقوى و الأصلح في عالم اللغات هو للغة التي تثبت قدرتها على استيعاب العالم المعاصر فتع بو عن كل جديد فيه دون عجز أو قصو ر، وتترجم كل جديد وافد أصدق ترجمة .

وقد أصبح للترجمة دور هام جداً في عصر العولمة لأنها تنقل لنا أفكار المجتمعات الأخرى ذات اللغات المختلفة ، وتنقل علومها في العصر العولمي ،فمن المستحيل بقاء عالم معولم بدون الترجمة ، لأن العولمة والترجمة أمران متلازمان ، نظراً إلى أن الترجمة تساهم في تحقيق التقارب بين الثقافات المتعددة .وتمد جسور التقارب والتآلف بين الأجناس المختلفة .

4_ دور الترجمة في بلوغ اللغة العربية عصرها الذهبي :

لقد شهدت الحضارة العربية عصرها الذهبي ، حين كان للترجمة الدور الهام في خدمة الحياة الفكرية والعلمية بصفة عامة ، وفي خدمة اللغة العربية وإثرائها بصورة خاصة .

فقد أدى اتساع الدولة الإسلامية في العصر الأموي إلى إسلام وتعرّب أمم عديدة كان لها ميراث فكري وعلمي احتاجت إليه الدولة ، وفرضه تطور النظم الإدارية والسياسية في الحكم ، فتقدم أبناء الأقطار الإسلامية ممن تعلموا العربية ينقلون إليها ذخائر التراث القديم للأمم العريقة في العلم والحضارة في علوم جديدة تماما على العربية ، فبدأت حركة نقل مبكرة في العصر الأموي برعاية " خالد بن يزيد بن معاوية " (20) الملقب ب" حكيم آل مروان – المتوفى 85هـ / 704م – حيث أمر بعض علماء اليونان الذين كانوا في الإسكندرية بترجمة مجموعة كتب أرسطو المنطقية عن اليونانية إلى العربية ، وبذل العطايا والهبات ، وخصّ بنصيب وافر منها المترجمين الذين قاموا بنقل كتب النجوم والطب والكيمياء والحروب والآداب والآلات والصناعات . ثم جاء الخليفة مروان بن الحكم فوجه بعض همته إلى النقل

، فترجم له " ماسرجويه البصري " كتاب (أهرون بن أيمن القس) من السريانية ، وهو يعد من الكتب النفيسة التي تناولت الحكمة وغيرها..

وإذا كانت أعمال الترجمة التي تمت في العصر الأموي ظلت أعمالا فردية ، لم تأخذ شكل الفريق المتكامل أو المشروع المنظم ، فإنه مع قدوم عصر العباسيين (133- 656هـ / 570-1258م)، أخذت الترجمة شكلا لم تشهده أمة من ذي قبل من حيث الفخامة والتنظيم ، ومن حيث الانفتاح على علوم الأمم الأخرى وثقافات شتى الشعوب . فقد كان العصر العباسي – بحق – أزهى عصور الترجمة ، بل كان " العصر الذهبي لها " ، إذ أصبحت الدولة هي راعية هذه الحركة ، وخصصت لها المبالغ المجزية ، والعلماء والمترجمين ، وتحملت مشقة البحث عن الكتب والمراجع من أصقاع الدنيا (21). فنشطت الترجمة في العصر العباسي الأول تحت رعاية الدولة ولحسابها ، وتحمل بيت المال النفقات الباهضة لحركة الترجمة التي أخذت وضعا رسميا بالغ التنظيم والدقة ، ولم تدّخر الدولة وسعا في التماس كنوز المعرفة القديمة من مصادرها .

فنقرأ في عصر هارون الرشيد أنه ألف هيئة علمية بإشراف ابن ماسويه مهمتها تقدير التعويضات التي تدفعها الدولة المهزومة من ذخائر كتبها (22) . وشيد الرشيد بيت الحكمة ببغداد (830م) ، فلما آلت الخلافة إلى المأمون (198-218هـ) سار سير والده ، بل أشرف على الذروة ، حيث وجه همته إلى الترجمة والتأليف ، واهتم ببيت الحكمة ، وجذب له العلماء والمترجمين والطلاب من كل حدب وصوب (23)

ولقد نمت اللغة العربية على أيدي المسلمين في عصور النهضة العلمية العظمى بفضل ما أوتوا من اقتدار على الاشتقاق والتعريب ، فكانت هذه الترجمة الأولى في العالم الإسلامي نبراسا لقدرة هذه اللغة العريقة على التوسع ، وعلى المقدرة على التعبير عن دقائق العلوم ، فأضحت لغة العلوم قرونا عديدة من الزمان .

وقد تمثلت أهم النتائج التي أثمرتها حركة الترجمة العظمى في عصر الخلافة العباسية على وجه الخصوص ، وفي عصري الخلافتين الأموية والعباسية على وجه العموم ، في إثراء اللغة العربية بما دخل إليها من مصطلحات وتعابير جديدة في مختلف العلوم والفنون ، فقد دخل في اللغة العربية كثير من المعاني والتراكيب والعبارات العلمية ، وأصاب قاموسها عددا كبيرا من الألفاظ الأجنبية ، وتحولت إلى لغة عالمية قادرة على استيعاب كافة مجالات الحياة من سياسة وقانون وإدارة وعلوم .

وإذا أردنا معرفة مبلغ الأثر الذي خلفته الترجمة في عمود اللغة العربية ، فهذا الأثر إنما يتجلى فيما طرأ على الأدب من تغيرات عميقة ، وفيما اتسعت له الألفاظ العربية من معاني جديدة ازدادت بها غنى ودقة ووضوحا وسلامة . إضافة إلى أثر الترجمة أيضا في صناعة الكتب من حيث التنسيق والتبويب والتنظيم ، وفي تأليفها بوجه عام من حيث التسلسل في عرض الأفكار والآراء . وتوضح الكتب التي وضعت في تلك الفترة ما وصل إليه العرب و المسلمون من قوة عظيمة في التمحيص والتحليل والغوص في أعماق المعاني (24)

فقد أخذ المسلمون ينهلون من موارد العلم ، ويترجمون وينقلون إلى اللغة العربية مختلف الذخائر العلمية ، فبرز عدد من العلماء العرب الأعلام

الذين قاموا بأروع الإنجازات العلمية ، وكتبوا أعظم المؤلفات والموسوعات ، وأضافوا إلى هذه التراجم الكثير من مبتكراتهم ، فكان ذلك العصر عصرا ذهبيا للغة العربية ، فقد زخرت بآلاف المصطلحات والمقابلات والمأثورات ، بقي المشتغلون بالعلوم – حتى اليوم- يهرعون إلى نبعه ا الفياض لأخذ كؤوس العلم والمعرفة بلغة عربية جزلة معطاءة ، اتسعت آفاقها الرحبة لمختلف العلوم والفنون (25)

وقد سايرت العربية هذه الحركة التاريخية ذات الأثر البعيد في الحياة الفكرية واللغوية والحضارية ، واستوعبت تراث الأمم القديمة ، وتمثّلته وأدته إلى الإنسانية في زيه العربي وروحه الإسلامية ، كما أضافت إليه رصيد علماء الدولة الإسلامية ، فتلقت المكتبة العربية أوليات الكتب العلمية التي ألفها الرواد ، واستطاعت أن تؤدي كل مصطلحات العلوم الرياضية في الحساب والجبر والفلك ، كما أمكنها استيعاب المصطلحات العلمية في الطب والطبيعة والكيمياء والجغرافيا والصيدلة والنبات ، في مؤلفات جابر بن حيان و البيروني والخوارزمي وابن البيطار والحسن بن الهيثم والشريف الإدريسي وأبي بكر الرازي وابن سينا... وغيرهم من علماء عصر النهضة الإسلامية التي أخذت الدور القيادي للحضارة الإنسانية في العصر الوسيط (26)

ولم يذكر التاريخ أن حركة إحياء التراث العلمي قد انتظرت طويلا ريثما يستقر رأي المختصين على إمكان نقل العلوم إلى العربية ، فلم يمض قرن على ذلك حتى قدم هؤلاء العلماء جديدا أصيلا من العلوم ، ودخلوا التاريخ العلمي روادا لآفاق لم يستشرق لها من قبلهم (27) ، ونشأ بفضل العلوم

المنقولة طائفة من الأطباء والفلكيين والرياضيين وصلوا إلى مرتبة النبوغ في علوم شتى ، ولم تلبث العربية أن " تأنقت فتألقت فحاّقت ، وذلك بإيجاد المصطلحات اللائقة لكل حقول المعرفة المترجم منها " (28)

فالأمم توجه عناية كبيرة نحو تعليم شعوبها مختلف اللغات ، وتعمل على تدريبهم على فن الترجمة ، وتبذل جهودا جبارة لكي تمتد دائرة التعليم فيها فتشمل أكبر عدد من الأفراد ، فاللغة والترجمة مفتاح باب كل معرفة ، وقديما كان على كل من يرغب في دراسة أحوال الشرق ، أن يدرس لغاته ليقف على أحواله ، فكان أن احتلت اللغة العربية مكان الصدارة ، وكان لها الشأن الأول بين اللغات الأخرى ، وكان يدرسها الأجانب حتى نبغ فيها مترجمون عديدون نقلوا جانبا من التراث العربي إلى لغاتهم ، وتنافس الناس جميعا في تعلمها للاطلاع على حضارة العرب ومدنيتهم الباهرة (29)

فعلينا اليوم استكمال دائرة التفاعل بين الفكرين الغربي والشرقي ، فليس منا من بنكر أن في مقدور اللغة العربية أن تأخذ وتعطي بحيث تؤدي رسالتها على أكمل وجه كأداة عالمية للتعبير عن مختلف دقائق العلوم والفنون .

فبتعلم اللغات والترجمة نستعيد منزلة العرب الأولى ، هذه المنزلة التي نحن في أمس الحاجة لاسترجاعها ، وإذا كانت ثقافتنا فيما مضى قد اضطرتنا للترجمة والتأليف ومعرفة اللغات ، فنحن اليوم في عصر جديد ، وفي حاجة أمس إلى اللغات والترجمة والتعريب والتأليف ، لأن هدف الأمم من تثقيف المتعلمين ودفعهم إلى معرفة اللغات والترجمة إنما لتمكينهم من مسايرة الاتجاهات العالمية في التفكير في هذا العصر الذي يعد عصر العولمة والمعلوماتية .

5- أهمية النهوض بنشاط الترجمة لاستعادة اللغة العربية عصرها الذهبي :

مما لا شك فيه أن الترجمة مهمة في نقل العلم و المعرفة وفي إطلاع الإنسان على ما توصل إليه أخوه الإنسان في مضمار الرقي الحضاري ،فهي نافذة يطل منها كل من يرغب في تخطي حدود عالمه المحلي لإشباع الفضول وإرواء حب الاطلاع على آفاق ما وراء الحدود المحلية من ابتكار وتطور في شتى مناحي الحياة ، لهذا فقد كان للترجمة مكانة معتبرة عند علماء العربية على الخصوص، حيث أدركوا منذ وقت مبكر أهمية الاستفادة مما لدى الآخرين من علوم ومعارف لا سابق معرفة لهم بها ، فخدموا الدولة الإسلامية بما نقلوه إليها من شتى مناحي الحقول العلمية، مما ساهم في ازدهار المناخ العلمي الإسلامي، وتشعب جوانب البحث و الدراسة ، وساهموا في خدمة الإنسانية بما حفظوه من ذخائر العلوم التي نقلوها من أصولها ، هذه الأصول التي ضاعت بعد أن عبث بها الزمن ، لتبقى الترجمات العربية الأمين الذي حفظ الأمانة العلمية وأداها خير تأدية لبعث عجلة الحياة العلمية الحديثة. كما ساهموا بصورة أخص في خدمة اللغة العربية وإثرائها ، إذ كان اشتغالهم العظيم في مجال الترجمة أحد أبرز السبل التي جعلت اللغة العربية تشهد عصرها الذهبي .

لهذا فإن الأمة العربية مطالبة اليوم باستعادة دورها الريادي للحضارة الإنسانية حينما كان علماؤها روادا في الكيمياء والصيدلة والرياضيات وجامعاتها في الأندلس وشمال إفريقيا تعج بالطلاب الأوربيين، ولا يمكن أن يتحقق لها ذلك إلا بإعادة الاعتبار للغتها رمز حضارتها وعزتها ، فلا أحد يمكن أن ينكر أن العر بية استطاعت أن تستوعب الحضارات والثقافات الإنسانية وكانت واسطة بين الثقافة الإغريقية ا لقديمة و النهضة الأوربية الحديثة بعد أن نقحت تلك العلوم وأضافت إليها الكثير، وقد كانت الترجمة أساس تلك الحضارة ، وكما يقول طه حسين حين سئل في مجمع اللغة العربية بالقاهرة :

كيف تحصل الترقية اللغوية للغة العربية ؟ أجاب "ترجموا وترجموا ثم ترجموا " (30) ، لما للترجمة من الفضل الكبير في الازدهار الحضاري و الرقي الفكري والاتساع المعرفي والثراء اللغوي .

فمما لا شك فيه أن للترجمة الدور المهم والكبير في عملية الرقي الحضاري والاجتماعي للأمم، حيث تعتبر وسيلة للنهوض العلمي، والانبعاث الحضاري في الوطن العربي في جميع المجالات ، خصة مجال خدمة اللغة العربية وإثرائها ، فهي تعد إحدى ظواهر النشاط العلمي الذي شهدته الحضارة العربية الإسلامية منذ عهودها الأولى. أين أسهمت الترجمة إلى حد كبير في تطوير البحث في اللغة العربية ، من خلال الجهود العظيمة في مجال الترجمة والتعريب، والتي كان لها الفضل في تطوير اللغة وإغنائها، بأعداد كبيرة جدا من المفردات والمصطلحات والعبارات .

ولقد أبرز تقرير التنمية الإنسانية العربية الأول لعام 2002 ضعف حركة الترجمة في الوطن العربي ، بل ضمورها الشديد ، مما يكاد يقضي على دورها المأمول في نقل المعرفة وتوطينها باللغة العربية. وقد كشفت الإحصاءات في هذا الصدد أن ما يترجمه العالم العربي من كتب قد لا يزيد على خمس ما يترجمه بلد أوربي صغير مثل اليونان الذي يقل سكانه عن 5 %من سكان الوطن العربي . وتتعاظم أهمية الترجمة العلمية يوما بعد يوم نتيجة الانفجار المعرفي وتزداد هذه الأهمية بالنسبة لعالمنا العربي لكونه – أساسا – متلقيا للمعرفة أكثر منه منتج ا لها . (16)فما على الغيارى على اللغة العربية إلا أن يرفعوا أصواتهم لإسماع أنين اللغة العربية التي كانت في أمس قريب شامخة بجهود أهلها وحرصهم على حفظها وتطويعها لمساير ة مستجدات الحياة الفكرية والعلمية والحضارية .

_ خاتمة :

فقد أثبتت اللغة العربية قديما أنها لغة صالحة للتعبير عن كل جديد فلم تقف جا مدة أمام الانقلاب الجذري الذي أحدثه الدين الإسلامي في الحياة العربية بصفة خاصة ، بل راحت تخدم هذا الأخير وتنقل تعاليمه ، ففتحت بابها لاستيعاب زخم جديد من المفاهيم التي صقلت اللغة صقلا رائعا فأد ته خير تأدية ظهرت اللغة من خلالها بحال جيدة وأساليب مقتبسة من ا لمعجزة القرآنية ، ثم سايرت اللغة العربية النقلة الحضارية و العلمية و المعرفية التي شهدها العصر العباسي – عصر ازدهار الحضارة العربية الإسلامية وانفتاحها على آفاق العلوم و المعارف الأجنبية -- فكانت هذه اللغة وسيلة طوع الحاجة لم تشكو تقصيرا أو عجزا في نقل ذخائر العلم و المعرفة.

لأن قوة اللغة من قوة مجتمعها ، وإن ما يطرأ عليه من ضعف وتقهقر لابد أن ينعكس عليها بالركو د و الانكماش ، وإن قدرة اللغة العربية على التعبير ومرونتها في الأداء وطاقاتها باتجاه التجديد و الإبداع كل ذلك مستمد من حيوية المجتمع وتجدد اهتماماته وتوسع مجالات اجتهاده، وقد بلغت ما بلغت في عصرها الذهبي ، لانعكاس قوة مجتمعها في سعي القائمين عليها وهرعهم لإثرائها ،فكانت في تلك الصورة النموذجية التي سجلها لها التاريخ والتي نأمل أن يسجلها لها مرة أخرى .

ـــ الهوامش :

1_ د. كارم السيد غنيم ، اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة (ص 124)

2_ ابن منظور ، لسان العرب ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان 1988م (ص 316)

3_ الرازي ، مختار الصحاح ، مكتبة لبنان ، بيروت ، لبنان 1986م (ص 100)

4_ مجموعة من المؤلفين ، المنجد في اللغة العربية المعاصرة ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان 2001م (مادة ترجم)

5_ الزرقاني محمد عبد العظيم ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، دار الفكر ، القاهرة ، مصر ، د.ت (ص 2)

6_ ابن جني ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ،د.ت (ص 33)

7_ الهنساوي حسام ، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة 1994م (ص 7)
8_ ابن جني ، الخصائص (ص 33)
9_ الفيروزابادي ، القاموس المحيط ، دار الكتاب العربي ، د.ت ، 386/4
10_ ابن خلدون ، المقدمة ، تحقيق عبد الله محمد الدرويش ، دار يعرب ، دمشق ، د.ت ، ط1 (ص 548)
11_ الخفاجي ، سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،ط 1، 1982م (ص 56-57)
12_ حسين عبد القادر، فن البلاغة ، عالم الكتب ، بيروت ، ط2 ، 1984م (ص 65)
13_ فيليب دي طرازي ، عصر العرب الذهبي ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، مصر (ص 12)
14_ عصام نور الدين ، العولمة وأثرها في المجتمع الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعية ، مصر 2002م (ص 10)
15_ الأشموني حسن ، أثر الترجمة في حضارة العرب ، دار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، د.ت (ص 47)
16_ المرجع نفسه (ص 39)
17_ // // (ص 126)
18_ د.تمام حسان ، مقال " اللغة العربية بين العوربة والعولمة " ، مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية ، المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر 2001م (ص 183-184)
19_ د. نبيل علي ، الفجوة الرقمية ، عالم الفكر ، أغسطس 2005م (ص 318)
20_ د. عائشة عبد الرحمان ، لغتنا والحياة ، معهد البحوث والدراسات اللغوية ، قسم البحوث والدراسات الأدبية واللغوية ، مصر 1969م (ص 75)
21_ د. كارم السيد غنيم ، مرجع سابق (ص 82-84)
22_ د. عائشة عبد الرحمان ، مرجع سابق (ص 76)
23_ د.كارم السيد غنيم ، مرجع سابق (ص 85-86)
24_ د. كارم السيد غنيم ، مرجع سابق (ص 92-94)
25_ المرجع نفسه (ص 85)

26_ د. محمد عيد ، المظاهر الطارئة على الفصحى ، اللحن ، التصحيف ، التوليد ، التعريب ، المصطلح العلمي ، عالم الكتب ، القاهرة 1980م (ص 144) ، ود. عائشة عبد الرحمان ، لغتنا والحياة (ص 76-77)

27_ د. عائشة عبد الرحمان ، مرجع سابق (ص 137)

28_ د. عبد المالك مرتاض ، "دورات العربية في التاريخ "، مكانة اللغة بين اللغات العالمية ، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر2001م (ص 11)

29_ الأشموني حسن ، مرجع سابق (ص 56-57)

30_ د. صالح بلعيد " تحديات اللغة العربية في الألفية الثالثة " ، مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية ،مرجع سابق (ص 320)